

مفتاح السعادة الزوجية

الحلقة الثالثة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله

سنبدأ محاضرة اليوم بأسس اختيار الزوج لانه سبق وتكلمنا عن أسس اختيار الزوجة ..

فما هي الأسس التي تختار بها أي أخت مقبلة على الزواج في الشخص المتقدم لها ليكون الاختيار صحيحا؟ لأن ما ابتدأ بالحق سينتهي إلى حق وما ابتدأ على باطل سينتهي على باطل ..

يقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221) ﴾ "البقرة"

ابتداءً بين الله تعالى أنه وإن كان عبد ولكنه مؤمن أفضل من مشرك ويندرج تحته كل الكفار سواء يهودي أو نصراني أو بلا ديانة فمهما كان به من مميزات فالعبد المؤمن أفضل منه في كل شيء لأنه من سيصونك فلن ينفعك مال الكافر أو نسبه فهذا أول أساس ينبني عليه الاختيار ألا وهو الدين .

ومن المسلم به أن المرأة المسلمة لا يحل لها أن تتزوج من غير مسلم ،على عكس الرجل فمن الممكن أن يتزوج من يهودية أو نصرانية . وأيضاً لا يحل له أن يتزوج من امرأة بلا ديانة أو ملحدة فله فقط أن يتزوج من كاتبية وإن كان الكتاب حُرْف ولكن هذه حكمة الله .

فلا بد أن يكون اختيار الزوج أن يكون ذا دين لأن المرأة سوف تكون تحت ولاية هذا الرجل
فله القوامة عليها وسنبين ما هي القوامة فإنها ستكون في رق له وتحت حكمه وأمره فالولي
أو المرأة نفسها إن سلمت نفسها لرجل من غير دين فكل مكروه في الدنيا سيصدر منه ، فإن
كان الشخص لا يخاف الله ولا يتقي الله فلن يخاف منك أو من وليك أو من أهلك ...

**سأل رجل الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - قائلاً: " إن لي بنتاً فمن ترى
أزوجها له ؟ فقال : زوجها لمن يتقي فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها فلن يظلمها "**

فكان القياس عندهم التقوى فإن أحبك سيكرمك وإن كرهك وصدرك أي موبقات لن
يظلمك وسيعطيك حَقك لأنه يخاف الله رب العالمين ..

كانت عائشة - رضي الله عنها - تقول : **" النكاح رق فليُنظر أحدكم أن يضع كريمته "** رواه أبو
عمر التوقاني في معاشر الأهلين موقوفاً على عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر، قال البيهقي:
وروي ذلك مرفوعاً، والموقوف أصح . انتهى .

معنى أن النكاح رق أن المرأة في بيت زوجها كالعبد في بيت سيده وإن لم تكن أمة له فليُنظر
وليها من ستكون تحت ولايته وفي رقه ومن سيأمرها وينهاها فهذه أمور مهمة جداً ، لكن
الشرع أعطى للزوج صلاحيات يتحكم بها في المرأة وله حقوق وعليه واجبات وهذه الحقوق
ليست ظلم أو اضطهاد .

فالشخص إن كان تقياً سيكون له طريقة هادئة في المعاملة وأسلوبه سيكون فيه حنان
وسخاف على مشاعرك وسيعمل حساب لأهلك وسيحافظ عليك كل هذه الأمور لن تأتي
بالحب بل بالتقوى ، فإن كانت امرأة تحب رجل هذا الحب بعد فترة من الزواج سيفتران لم
يكن تقياً فسيظهر سوء الخلق .

حدثناه أبو كريب حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: " ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل " رواه مسلم

ففيما عدا ضرب أعناق الكفار ، والجهاد في سبيل الله ، لم يفعله النبي على الرغم من أن هناك مواقف حدثت من زوجاته يضيق بها صدر أي رجل أو تكون سبب لأن يتعدى عليها بالسب أو الضرب ، لكن حسن الخلق والخوف من الله يمنعه من التعدي على امرأة ضعيفة هي في ملكه ملكها له ربه وملكها له وليها على أن يكون راعياً لها فلا يضربها ولا يهينها ولا يضطهدها وكل الأشياء التي نراها الآن في بيوت المسلمين ، وإن كان الرجل ذا دين سيعينك على أمر دينك ، فأخي أخت تحضر المجالس وتهتم بطلب العلم ومقبلة وإن كانت في البدايات وإيمانها ضعيف فبالمواظبة والاستمرار يكون فيها خير ومع الوقت ستعلو في دينها ، والشخص الذي تزوجته على نفس الدرجة لا يزيد فأنت ستريدين تطبيق ما تسمعيه وتقرأيه في بيتك ومع أولادك وقلبك منشرج ونيك طيبة فإن لم يكن ذا دين سيثبط همته ويصدك عن الطريق ولا يعينك على دينك فكيف تقبلين عليه ؟ وأن الخير الذي عندك وإن كنت صاحبة معاصي وعندك عيوب وذنوب فمع الوقت سينصلح حالك مع التقوى والاستغفار فتكونين في مرحلة عالية من الدين وتريدي حفظ القرآن ومقبلة والشخص الذي معك يشدك في الإتجاه المعاكس فتحثينه على حفظ القرآن يأخذك للسنيما تنصحينه بالتقوى وترك الغيبة يتحجج بأن كل الناس على هذا فإما أن تنجرفي معه أو أنه سيضيق صدره ويبحث عن أخري غيرك فالبيت لن يحتمل ..

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، وَأَيَقَطَّ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ

فَصَلَّتْ، وَأَيَّقَطَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبِي نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ" سنن أبي داود برقم (1450)

وسنن ابن ماجه برقم (1336) .

فالمرأة الصالحة توظف زوجها للصلاة والرجل الصالح يوظف زوجته فيعينك على أمور دينك ولا يتركك نائمة حتى تستطيعي القيام بأعمال المنزل هذا إن صلى وكان تقيا سيحرص على نفعك ويشجعك فهذه فائدة صاحب الدين والتقوى .

وكذلك من الأسس التي ينبني عليها اختيار الزوج الصالح أن يكون صاحب خلق طيب وهذه المشكلة التي عليها بعض الأخوات الملتزمات وبسببها ممكن يحدث خلاف أن يكون صاحب دين بلا خلق ولو أن اللفظ لا يستقيم لأن الدين خلق ، فالمقصد أن يكون أخذ من الدين ظاهره لحية يأتي بالصلوات الخمس وأحيانا يكون حاملا للقرآن لكن الخلق عجيب لا يصدر إلا من رجل رياه الشارع لا يدل أبدا أن هذا الرجل مسلم فضلا على أنه حامل لكتاب الله أو يحضر مجالس علم فمن أين عرفت الله وتقول ما جاء به رسول الله وتصلي وتعامل زوجتك بهذه المعاملة ، من قدوتك؟ وأين أنت من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه مسألة أخرى فيجب أن يكون مسلما وتقي وعنده خلق ...

فتقول سائلة أنه إن تقدم لخطبتها شخصين أحدهما على خلق عالي ويشهد له الناس بحسن الخلق ولكنه في بداية الالتزام لا يعلم كثيرا من الدين، والآخر لحية وقرآن والالتزام لكن طبعه صعب فالنصيحة ستكون أن تأخذ صاحب الخلق الطيب لأن أخلاقه ستأتي بالدين لكن من وصل لهذه المرحلة من الدين ولم يتحلى بحسن الخلق فهذا لا أمل منه إلا أن يشاء الله شيء ، فالأخلاق مهمة جدا فإن كان عنده حسن خلق ونية طيبة ويعلم الثوابت من الدين فيؤدي الصلاة والصيام ولا يأكل حراما بعيد عن الكبائر ولكن لديه أخطاء صغيرة الاخ الثاني لا يفعلها فهذا يمكن أن يصلحها إن رأى منك حسن خلق أما صاحب الدين بلا خلق صورة سيئة للإسلام ، يكره الأهل الإلتزام بسببه ، فيؤدي ذلك مآلا إلى كثير من حالات الطلاق

أما صاحب الخلق المقصر في بعض الطاعات ولكنه غير معاند عند نصحه يتقبل ويحاول أن يصلح من نفسه ، فما عنده من الجهل من السهل إزالته بالعلم وسيقدم على طريق الله بل ويمكن أن يكون صورة طيبة لهذا الدين ...

يقول الله تعالى : ﴿ الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (26) "النور"

فإن كنت من الطيبات فلماذا ترضي بشخص فاسق !؟

كذلك الولي عليه عامل كبير وسيسأل أمام الله فمن الآباء لا يهمله إلا المال والمصالح فهذا سيحاسب على ما فعله مع ابنته لأنه لم يعطيها لأحد يصونها .

فالبنات من الممكن أن تعيش مع زوجها أكثر مما عاشت مع أبيها وأمها فليُنظر أحدكم أين يضع ابنته فإما إلى شقاء وأما إلى سعادة فالمرأة بطبيعتها ضعيفة . وكثير من هذه الحالات سبب شقاء المرأة تعاستها من سوء خلق لضيق في العيش حياة خالية من الحنان لا يتكلم معها بطيب الكلام فكيف ستكون حياتهم ؟ فهذه المرأة إما أن تكون مريضة تعاني من جميع الأمراض أو تجنح إلى الإكتئاب أو تدخل في الدين فينقذها الله به ، لكن حياتها النفسية تكون مدمرة نتيجة لهذا الرجل الذي لم يعرف حقوق زوجته عليه فهي لم تكن عنده جارية ولم يشتريها بماله فهي إنسانة ولها مشاعر وتعب أهلها في تربيته فلا بد لكل زوج أن يعرف حقوق زوجته ويؤديها ولكن غفلت الأهالي عن التربية فلم يربوه أن يتحمل المسؤولية أو كيفية صيانتها ونسى- أن كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته ، فلم يبينوا حدود الشرع في التعامل مع الزوجات ، وأن كل كلمة سيحاسب عليها ، وما يفعله من تدمير نفسيته وحياتها بإهماله لها فلا يكثر ثبها ولا يلتفت لما تبذله في مرضاته بل يعرض عنها فيأله من سوء خلق .

فلم يفتن حال النبي صلى الله عليه وسلم مع عائشة في حال الحيض فالمرأة تكون أضعف ما تكون فضعيفة بدنيا ونفسيا فالنبي صلى الله عليه وسلم يعلم هذا فلم يغفل عن الاهتمام بها ...

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: **"كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فيّ فيشرب، وأتعرق العرق وأنا حائض ثم أناوله النبي صلى الله عليه وسلم فيضع فاه على موضع فيّ"**. (أخرجه مسلم كتاب الحيض، باب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد: 1/245 ح 300).

فكان يتودد لها ، وقد كان لنا في رسول الله أسوة حسنة فلا بد من أن نتعلم منه . فكثير من البشر طبيعتهم لا يريجون من يعيش معهم ولا يهتمون لأمرهم وقد يكون ذلك من تربية الأهل ظنا منهم أن المرأة إذا تودد لها زوجها لن ينصلح حالها فيتحضر الزوج لذلك مهما يراها جميلة أو مهما تبذل في خدمته فلا يشكر لها جميل صنيعها فتخرب البيوت وتمرض النفوس .

وقد وقع في حديث آخر لعائشة أخرجه أحمد وابن سعد وصححها بن حبان من رواية هشام بن عروة عن أبيه **" قلت لعائشة : ما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصنع في بيته ؟ قالت : يخيظ ثوبه ، ويخصف نعله ، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم "** وفي رواية لابن حبان **" ما يعمل أحدكم في بيته "** وله ولأحمد من رواية الزهري عن عروة عن عائشة **" يخصف نعله ، ويخيظ ثوبه ، ويرقع دلوه "** صحيح البخاري

فالنبي لم يرد أن يجهد زوجاته ويتعبهم فكان بنفسه يصلح ثوبه ويخيظ نعله فيعمل كل ما يستطيع فعله إعانة لهم ولتوطئة الود والحب والدفء فهذه الأمور قد أختفت من بيوت المسلمين إلا ما رحم ربي ، فهذا رسول الله فماذا فعل الذين من دونه ؟ لكن معظم الرجال تربوا على ألا يساعدوا في أمور المنزل أو يساعد في عمل أهل بيته ، فهذا الرجل له من الغباء

ما له أو ما يدرك أن كل ما يفعله مع زوجته سيعود عليه بطريقة أو بأخرى أو على أولاده
فيخسر بيته وأولاده ، فلو فعل ما كان النبي يفعله لنصلح حاله واستقام بيته ...

وأيضا كانت تقول عائشة رضي الله عنها

293 حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين سمع زهيراً عن منصور بن صفية أن أمه حدثته أن

عائشة حدثتها (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ
القرآن). صحيح البخاري

[ص: 202] 3416 - وذكرنا في التمهيد من قال عن مالك في هذا الحديث عن عائشة :

(كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يديني إلي رأسه ، وأنا في حجرتي وهو معتكف ،
فأرجله وأنا حائض). الاستذكار الجامع لمذاهب الفقهاء لابن عبد البر .

والأحاديث كثيرة وتبين كيف كان حال النبي مع زوجاته في أكثر فترة تحتاج فيها المرأة إلى الود
الاول وهي فترة الحيض لأنه إمام المتقين ، فأحرصى أن تتزوجي من التقى حسن الخلق .

ففي الحديث رواه الترمذي وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : " خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي " صحيح .

معنى الحديث أن أفضل الناس هو أفضل الناس معاملة مع زوجته وأنا أكثر الناس معاملة
طيبة مع أزواجي ، فيعلم النبي ويرشد الرجال أن الخيرية في العطف على المرأة وإكرامها
وعدم إهانتها وعدم ظلمها .

قال الشوكاني رحمه الله تعالى : في ذلك تنبيه على أعلى الناس رتبة في الخير وأحقهم
بالإتصاف به هو من كان خير الناس لأهله فإن الأهل هم الأحقاء بالبشر وحسن الخلق
والإحسان وجلب النفع ودفح الضر ، فإذا كان الرجل كذلك فهو خير الناس ، وإن كان على
العكس من ذلك فهو في الجانب الآخر من الشر ، وكثيراً ما يقع الناس في هذه الورطة فترى
الرجل إذا لقي أهله كان أسوأ الناس أخلاقاً وأشجعهم نفساً وأقلهم خيراً ، وإذا لقي غير الأهل

من الأجانب لانت عريكته وانبسطة أخلاقه وجادت نفسه وكثرخيره ، ولا شك أن من كان كذلك فهو محروم التوفيق زائغ عن سواء الطريق ، نسأل الله السلامة . " انتهى من نيل الأوطار " (6 / 360)

فهذا الإنسان يتصنع في الخارج لينال إطرء الناس عليه فيبتسم للناس ويضحك للناس ولا خير فيه لأنه ينقلب على عقبيه في معاملته لزوجته وأولاده فتجده أسوأ الناس خلقا في البيت ..

ومن أهم الصفات المعاشرة بالمعروف فمن كان على درجة كبيرة من حسن الخلق سيعاشر إمرأته بالمعروف ولا بد .

يقول الله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (19) ﴾ "النساء"

الأمر من الله أن تعاشرها بالمعروف فإن كرهت فيها خلقا رضيت منها آخر وعسى . الله أن يجعل فيه (ماكرهته من خلق) خير فاصبر وتحمل هذه المرأة وبعد فترة سيحصل وفاق

فاصبر على طبع الزوجه ولتصبر الزوجة على طبع زوجها لأن هناك اختلاف فكل من أسرة مختلفة وتربية مختلفة حتي يعتاد كل منكما على طبع الآخر فلا يضربها ولا يهينها ولا يعاتبها على خطأ فعلته لأنها بشر ومن الطبيعي أن يكون هناك نقص ومن الطبيعي ألا تفعل كل نما تأمره بها كل يوم ، فإن كان تقيا فسيتغافل عن بعض النقص الذي عندك ولعلمه أن القلوب لها إقبال وإدبار فليس كل وقت تستطيع خدمته بنفس النشاط أو بنفس الطريقة فلا بد من تذكرك الجميل ، وغض الطرف عن القبيح .

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم نساؤهم ، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب الأنصار ، فصخبت على امرأتي فراجعني فأنكرت أن تراجعني ، قالت : ولم تنكر أن أراجعك ، فوالله إن أزواج النبي

صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفرعني ذلك وقلت لها: قد خاب من فعل ذلك منهن، ثم جمعت عليّ ثيابي فنزلت فدخلت على حفصة فقلت لها: أي حفصة أتغاضب إحدانك النبي صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل؟ فرغم هذا لم يغضب النبي لأن هناك مساحة من الأخذ والرد فهناك مرونة في معاملة الرجل أهله فهذه كانت أحوالهم .

أيضا من شروط اختيار الزوج أن يكون مستطيع الباءة

أما الباءة في الحديث فقد اختلف العلماء في مرادها على قولين مشهورين يَصْبَانُ في معنى واحد:

- القول الأول: راعى الجانب اللغوي وهو الجماع، فجاء تقديره للحديث على الوجه التالي: «من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤن الزواج فليتزوج، ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤن الزواج فعليه بالصوم ليقطع شهوته، ويحدّ منيه، كما يقطع رضى الخصيتين وهو الوجاء».

- القول الثاني: راعى جانب أسباب الجماع ومؤن النكاح فسميت الباءة باسم ما يلازمها، فكان تقديره للحديث على ما يأتي: «من استطاع منكم على أسباب الجماع ومؤن النكاح المادية من المهر والنفقة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم لقطع شهوته»

فلا بد أن يكون الزوج قادر على جماع زوجته وإلا سيدفعها ذلك إلى الإنحراف أو الخطأ، فإن لم يكن لديه عدم القدرة أو لديه أي إشكال في هذا الموضوع من الأولى ألا يتقدم للزواج لأن ذلك من الخيانة . وقد سمعنا أن من الرجال من لا يستطيع الباءة فيتقدم للزواج لأنه أمام المجتمع لا بد أن يتزوج فيتزوج وتكتشف زوجته بعد ذلك أنه غير قادر على أداء الحقوق الزوجية فتنشأ عن ذلك المشكلات إما بالطلاق أو أن المرأة تسكت وترتكب محرّم وهذا من

الخيانة فيجب على من كانت تلك حالته ألا يتقدم للإرتباط بأي امرأة لإرشاد النبي صلى الله عليه وسلم له حال الاستطاعة بالزواج وحال عدم الاستطاعة بالصوم .

وعلى القول الثاني للبراءة أن يكون المتقدم للزواج عنده مؤنة الزواج وإلا فلا يتزوجها ومن ثم لا يستطيع تلبية احتياجاتها من مأكّل وملبس ومشرب ..

وقد ورد أن أسماء بنت قيس ذهبت تستشير النبي صلى الله عليه وسلم فقد تقدم لخطبتها اثنان من الصحابة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها البتة وهو غائب فأرسل إليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله ما لك علينا من شيء فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ،

فقال: "ليس لك عليه نفقة فأمرها أن تعتد في بيت أم شريك" ثم قال "تلك امرأة يغشاها أصحابي اعتدي عند ابن أم مكتوم فإنه رجل أعمى تضعين ثيابك فإذا حللت فأذيني" قالت فلما حللت ذكرت له أن معاوية بن أبي سفيان وأبا جهم خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه وأما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي أسامة بن زيد" فكرهته ثم قال "انكحي أسامة" فنكحته فجعل الله فيه خيرا واغتبطت "شرح النووي على مسلم 1840

رحم النبي صلى الله عليه وسلم أسماء وأشفق عليها، حين نصحها بعدم الزواج من معاوية، بسبب فقره، حتى لا تعيش حياة صعبة، كما رحمها مرة أخرى، حين نصحها بعدم الزواج من أبي جهم، فإنه وإن كان ذا مال، إلا أنه قاس في معاملة النساء، ولا يرضى لها النبي صلى الله عليه وسلم الحياة مع زوج هذه صفته .

وأیضا من الصفات التي يجب أن ترعيها المرأة عند الاختيار يكون رفيقا بالنساء ويظهر ذلك في معاملته لأمه وأخواته فتتنبه كيف يعاملهم أو يتكلم عنهم، فإن تكلم عنهم بعنف أو بطريقة ليست فيها أدب فتتنبه إلى سلوكه فإن كان يعتمد على أسلوب الأوامر مع أخواته

فهذا لن يكون رفيقا بك ويبدو ذلك أيضا في نصيحة النبي لأسماء بنت أبي قيس في عدم تزويجها من أبي جهم لأنه قاسٍ

فتحكي أخت قائلة أنها تريد الطلاق رغم سنها الصغير لإنها عندما استدركت على زوجها ونصحته في التقليل من شرب الدخان لأنه قدوة للأولاد ثار عليها وضربها ، والمشكلة في أن الأهل عندما يزوجون بناتهم وتعود لهم ينصحونها بالاحتمال فهم لن يهتموا عودة ابنتهم مرة اخرى فهي مقهورة في بيت اهلها ومقهورة في بيت زوجها فهذا ينم على سوء الاختيار منذ البداية فكل شيء لم يكن قائما على حدود الله وشرعه لن يكون ناجحا وأعظم مشروع في الدنيا الزواج لن ينجح بغير دين فلتنتبهن .

كان زوجات النبي صلى الله عليه وسلم يغاروا من عائشة لمكانتها من النبي صلى الله عليه وسلم فهذا من طبيعة النساء

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة (إناء) فيها طعام، فَضَرَبَتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم في بَيْتِهَا يَدَ الخَادِمِ، فسقطت الصحيفة فانفلقت، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فَلَقَ الصحيفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحيفة ويقول: غارت أمكم، ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هوى في بيتها، فدفع الصحيفة الصحيحة إلى التي كُسِرَتْ صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كُسِرَتْ) رواه البخاري.

فهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وامتص الغضب لأنه رجل عاقل ومن أعقل من النبي صلى الله عليه وسلم فيعلم أن المرأة فيها إعوجاج وفيها غيره وضعف فتغافل عما حدث ...

أما إن حدث ذلك مع أي رجل آخر لكسر دماغ زوجته وعنفها لأنها كسرت الإناء وإن كان ذا خلق سيهجرها ...

وأيضاً من الأسس ألا تتزوج من رجل عقيم لأن النبي صلى الله عليه وسلم حث على التكاثر من سواد المسلمين ليباهي بنا الأمم يوم القيامة ، وأيضاً من الصعب ان تتزوج المرأة ولا تنجب وهي تستطيع الإنجاب ...

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بَايَةً إِلَّا يَأْذِنَ اللَّهُ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (38)﴾ "الرعد"

وقال تعالى : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (46)﴾ "الكهف"

وقال سبحانه : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَإِ (14)﴾ "آل عمران"

وقال تعالى : ﴿وَرَكْرَكِيًّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ (89)﴾ "الأنبياء"

فكل هذه النصوص تبين أهمية الولد في حياة الأسرة رجل كان أو امرأة فلا تقبل المرأة على رجل عقيم لإن الزيجة ستبوء بالفشل .

وأيضاً لا بد من الأخذ في الاعتبار بمسألة الكفاءة والمقصود بها المساواة ولها عدة اعتبارات أو وجوه ففي كفاءة في الدين وفي النسب وفي المال ، ففي كفاءة الدين يقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلِأُمَّةٍ مُؤْمِنَةٍ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221)﴾ "البقرة"

والآيات في ذلك كثيرة ومنها قول الله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ أَلْوَا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (10) ﴾ "المتحنة"

حدثنا زهير بن حرب ومحمد بن المثنى وعبيد الله بن سعيد قالوا حدثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله أخبرني سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "قال تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك" شرح النووي على مسلم حديث صحيح .

فلا بد من الكفاءة في الدين ، فبعض الفتيات يغترن بالمظهر والكلام فقد يكون هناك من تراه كفاءة في الدين لكنه صاحب بدعة أو متبع جماعة معينة فلا بد من التأكد من هذا الأمر لأن صاحب البدعة أخطر على دينك من صاحب المعصية ، فقد يكون هناك شخص صاحب معصية لكنه محترم متربي فهذا أقرب للصالح من صاحب البدعة وإن كان صاحب البدعة كثيرا الأعمال فيبدو أنه أفضل من الأول لكن إن أتى لك الاثنان فاخترني صاحب الخلق لأن صاحب البدعة يعتقد أن بدعته التي يحدثها تقريه من الله فعندما تنصحيه بترك البدع يتخيل أنك تطلبي منه أن يبتعد عن طريق الله فيزيين له الشيطان أن ما يفعله قربة لله

فيقول الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (18) ﴾ "السجدة"

فلا يتساوى أبدا المومن مع الفاسق ، فعندما تكلمنا على بدعة المولد النبوي فاستغربوا وقالوا نحن نحب النبي فلم تمنعوننا من الإحتفال بمولده ؟ فهل حب النبي أن يأكلوا الحلوى أم أن الحب اتباع وإتمار بما أمر؟ ، فما وجه الحب في ذلك فحبه أن تتبعه في سنته وتنظر إلى آثار هديه فتسير على هداه ، فإننا إن سألنا هذا المحتفل هل تعرف سنن النبي

صلى الله عليه وسلم؟ لا، هل تقيم الليل؟ لا، هل تحسن لزوجتك؟ لا، هل تحسن معاملة المسلمين؟ لا، هل أموالك من حلال؟ لا، هل ترفض الرشوة؟ لا، فمن كان حاله هكذا هل يجب النبي حقا؟!

لا هذا كذب لأن الله تعالى قال في كتابه : **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31)﴾** "آل عمران"

الشاهد أن تحذري من أن تتزوجي من صاحب بدعة لأنه سوف يجرك إلى البدعة ، ومعرفة ذلك عن طريق معرفة من الشيوخ الذي يستمع إليهم ، من العلماء الذين تتلمذ على أيديهم؟ أين درست؟ ماذا تفعل في وقت الفراغ؟ ما الكتب التي تحب أن تقرأها؟ فمتى عرفت بدعته فلا توافق عليه بحجة أنك لن تنجرفي وراء بدعة وتذكري أن أولادك سيتربون عليها ولن تستطيعي منعهم فالأولاد غالبا تميل للأب فنحن في زمن نسأل الله السلامة نميل إلى النزول فسيملوا للأب ويتهموا الأم بالتشدد ..

قال ابن قدامة : فأما أهل البدع فإن أحمد قال في الرجل يزوج جهمي يفرق بينهما وكذلك إذا زوج الواقفي وكذلك يخاصم ويدعو إذا زوج أخته من هؤلاء اللفظية وقد كتب الحديث فهذا شر من جهمي يفرق بينهما ولا يزوج بنته من حروري مارق من الدين ولا من رافضي- ولا من قدرى إذا كان لا يدعو إلى بدعته فلا بأس ...

الشاهد أن ابن قدامة الحنبلي ينقل كلام أحمد الذي بين أن هؤلاء أسماء فرق ضالة ونهى أن يزوج الرجل ابنته أحد من هؤلاء ، لقول النبي في الحديث الصحيح : "ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة" قيل : ومن هي يا رسول الله؟ قال : "الجماعة" . وفي رواية أخرى : " ما أنا عليه وأصحابي" .

وأيضا لا بد أن يكون هناك كفاءة في النسب ..

فلو كان هناك شخصا بسيطا ليس فقيرا لكن عائلته لم تكن ذات نسب وجاه وعائلة الفتاة على عكس ذلك فهل يستقيم هذا ؟

هناك نزاع بين أهل العلم في مسألة الكفاءة في النسب فقال فريق : لا يصلح وحثهم قول النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم من حديث واثلة بن الأسقع قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم .

فاستدلوا بذلك على أهمية النسب ، فكما قال النووي : استدل به أصحابنا على غير قريش من العرب ليس كفنا لنا ولا غير بني هاشم كفنا لهم إلا بني عبد المطلب ...

والآخر قال : بإسقاط الكفاءة واستشهدوا بقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) ﴾ "الحجرات" .

فلم يذكر الله في الآية الحسب أو النسب وإن التفاضل والتفاخر خسران مبين لأن الشخص الغني ابن الحسب والنسب يمكن أن يكون أقل الناس عند الله وأن أكرم الناس عند الله أتقى الناس ، والتقوي بالدين وليست بالحسب ..

قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا (54) ﴾ "الفرقان" .

استدل البخاري بها في نصره القول بإسقاط الكفاءة في النسب لأن الله بين أن جميعنا خلقنا من ماء مهين فعلام التفاخر في النسب فالهم أن يكون هناك تكافؤ في الدين ..

حدثني عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأم سلمة أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس كان تبنى سالما وأنكحه ابنة أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة .

واستدلوا أيضا بهذا الحديث على عدم اشتراط الكفاءة في النسب فحذيفة كان له اسمه ونسبه وزوج بنت أخوه لمولى عنده ...

زوج رسول الله المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن بهراء من ضباعة بنت الزبير وكانت قرشية هاشمية ، وكان حليفا للأسود بن عبد يغوث الزهري فتبناه ، وكان يقال له المقداد بن الأسود ، فولدت له عبدالله وكريمة ثم خلف عليها عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف ابن زهرة ، ولم يكن لها ولد منه ..

فاطمة بنت قيس زوجها النبي من أسامة بن زيد ، وزينب بنت جحش زوجها النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة قبل أن تتزوج النبي صلى الله عليه وسلم ..

واستدلوا أيضا بهذه الحادثة في نفي الكفاءة في النسب وهذا هو الراجح ..

لكن هناك وقفة صغيرة هنا : فالصحابه كانوا لا يهتمون كثيرا بمسألة النسب ولكن كان يهمهم الدين ، ففي هذا الزمن هناك إشكالية فنحن لسنا في أخلاق الصحابة ولا تقواهم ديننا يصلح لكل زمان ومكان لكن لابد من الفهم أن الرجال ليس عندهم خلق الصحابة والنساء ليسوا عندهم خلق الصحابيات ، فإن كان الرجل غني والمرأة فقيرة وتزوجها سيعيرها بما كانت عليه أو سيتزوج من تليق بمكاته ومستواه وخاصة إن لم يكن عنده دين ، فنصيحتي ألا توافق إلا إذا كان عنده خلق الصحابة إذا أحبها أكرمها وإذا لم يحبها لم يظلمها فإن كان كذلك فلا بأس ...

لأن أصحاب الأموال تربوا على الفخر إلا ما رحم الله . ولكن هذا الغالب على أمرهم فلن تستطيع من هي أقل منه أن تحتل هذا فهو إن لم يذلها فقد يذل أهلها وإن كان هو خلوقا فقد لن تسلم من أهله والغالب أن الابن عجينة من الأم والأب فمنذ نعومة أظفاره كان على هذه الشاكلة ..

لذلك لابد من رؤية الأب والأم قبل الموافقة عليه ، فلا بد من الاعتبار بهذه الأسس والأفضل ان يكون هناك كفاءة .

والنقطة التي يغفل عنها كثير من الناس مسألة السلوكيات ، فمن تربى في فئة معينة عندما يتزوج من بيئة أخرى ستجد المفارقة بينهم وسيحدث الصدام والمشكلات .. فمن تربى في الريف غير من تربى في القاهرة ، فكل مجموعة من البشر لهم سلوكيات متفقيين فيها منسجمين بها لأنه إن خرج عن بيئته سيحدث الصدام ...

فكثير من التجار أصحاب الأموال لا تجدهم يعيشون في المناطق الراقية وهذا من الذكاء لأنه لن يستطيع التأقلم مع من يعيشون هناك لأنهم ليسوا على شاكلتهم ، فتجده غنيا ويسكن في الحارة .. فلا بد من الكفاءة في النسب حتى لا يحصل ضغط نفسي من الطرفين على الآخر ، وأيضا للتفاوت في مسألة السلوكيات فالعادات والتقاليد تكون مختلفة .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك